Route Educational & Social Science Journal

Volume 6(6); June 2019

Artical History

Received/ Geliş	Accepted/ Kabul	Available Online/yayınlanma
13.05.2019	13.06.2019	15.06.2019.

Moderation of the interpretation of the Quranic verses cut in the thought of Abu Mansur al-Matridi, died in 333 AH Quranic verses " Reflections on the theme and the context - cut. These letters have a different connotation

اعتدال التأويل للحروف القرآنيَّة المقطَّعة في فكر أبي منصور الماتُريدي تـ 333 هـ – تأمُّلات في الخاصَّة الدلالية و آفاق السياق

الأستاذ المساعد الدكتور محمَّد جعفر العارضيّ

العراق – جامعة القادسيَّة – كلِّيَّة التربية

Assistant Professor Dr. Mohammed Jaafar Al Ardhi

Iraq - University of Qadisiyah - Faculty of educatin

الملخَّص

في "تفسير القرآن العظيم" لأبي منصور الماتُريدي المتوفَّ سنة 333 للهجرة مقولات دلالية فيها الانفتاح، و التعدُّد، و التركيز و الإيجاز. و هذا ما نجده في نظره المخصوص في الحروف القرآنيَّة المقطَّعة..

و أهمُّ ما يميزه في تعاطيه هنا أنَّه لم يلتزم دلالة واحدة للمركَّب الحرفي الواحد في مواضعه كلِّها، بل راح يضع له في كلِّ موضع دلالته المخصوصة مع لحاظ أنَّ ذلك يظلَّ تحت مظلَّة الاعتدال التأويليّ. و لعلَّ هذا يعني أنَّ نظرًا سياقيًّا يعتمده في تجلية الخاصَّة الدلالية للحروف المقطَّعة، عن طريق ربط دلالتها بأجواء السور التي وردت فيها. و تجدر الإشارة إلى أنَّ هذا لهو نظر جديد في استلهام الدلالة في ضوء متطلَّبات التماسك النصيّ، و الترابط الدلاليّ.

ينظر الماتُريدي إلى الحروف المقطَّعة بوصفها ممثِّلة لكلمات مفتاحيَّة تضمر كثيرًا من البوح الدلاليّ من جهة تمهيدها للسور مرَّة، و من جهة احتمالها مقولات دلاليَّة ذاتيَّة معتدلة مرَّة أخرى؛ يحرص من خلالها على تعميق رمزيَّتها، و إيجازها اللسانيّ، و الولوج منها إلى نظر عقليّ، و محطَّات تربويَّة وعظيَّة. من دون غياب لمظاهر الإعجاز في توظيفها؛ فيشير إلى ما يشبه القواعد التأويليَّة المنحازة إلى المعنويَّات التي يتطلَّع إلى ضرورة اعتمادها.

و المهمُّ أنَّ الماتُريديّ يتوسَّط في فهمه للحروف القرآنيَّة المقطَّعة بوصفها عنصرًا تأويليًّا بين الرمزيَّة المغلقة الموغلة في الغيبيَّة المطلقة و القبول الدلاليّ التأويليّ غير المتكلَّف. و هذا ينسجم مع التأسيس لإنتاج خطاب تفسيريّ عقليّ يقارب المرادات الإلهيَّة في ضوء معطياتها السياقيَّة الكلِّيَّة؛ فيؤسِّس بطبيعة الحال إلى أن تكون اللغة بلحاظ طاقاتها الدلاليَّة العرفيَّة و الرمزيَّة أداة إنتاج حضاريّ و فعل تغييريّ لم يغفله المفسِّر الماتُريديّ؛ فتظهر العمليَّة اللغويَّة و قد تلبَّست بأهداف البناء الذاتيّ و المجتمعيّ.

الكلمات المفتاحيَّة: الحروف المقطَّعة، أبو منصور الماتُريديّ، خاصَّة الدلالة، الاعتدال التأويليّ، القواعد التأويليَّة، تنمية المعارف.

Abstract

In the "Interpretation of the Great Qura'an" by Abu Mansur al-Matridi, who died in 333 AH, semantic essays openness, pluralism on the one hand, and concentration and brevity on the other. This is what we find in his specific view in Quranic verses cut. These letters have a different connotation.

And the most important thing in his treatment here is that he did not adhere to one indication of the literal literal one in all places,But It is placed in each place its specific significance with the fact that it remains under the umbrella of moderation moderation and perhaps.

This means that a contextual view is dependent on the semantic characteristic of the hull and the fragment, by attaching its semantics to an ambience.

The fence in which they were received. It should be noted that this is a new consideration in drawing inspiration in light of the requirements Text coherence, and semantic .coherence.

Al-Matridi views the cut-off letters as representations of key words that are heavily embellished with semantic revelation.

On the one hand, it is prepared for the wall once, and on the other hand, it is likely to have moderate self-reflexive statements.

To deepen the symbolism, and the linguistic summary, and access to mental consideration, educational stations and preaching. Without the absence of manifestations of miracles in their employment.

What is important here is that Al-Mataridi understands the Qur'anic verses as an interpretative element.

The closed symbolism of the absolute negativity and the uncritical semantic acceptance of interpretation. This is consistent with.

The foundation for the production of an interpretive discourse of mental approximations to the divine meanings in the light of its contextual contextual data.

Keywords: Abu Musour al-Matridi Implicit moderation; explanatory criticism; knowledge development.

المدخل:

يظلُّ التعاطي مع الحروف القرآنية المقطَّعة بوصفها عنصرًا تأويليًّا، و يظلُّ الكلام عليها متعدِّدًا تبعًا لفكر هذا المفسِّر أو ذاك. و يأتي في هذا السياق نظر المفسِّر أبي منصور الماتُريديّ السمرقنديّ (238 – 333 للهجرة) في الحروف المقطَّعات التي افتتحت بها مجموعة من سور القرآن الكريم في كتابه "تفسير القرآن العظيم" بوصفه تفسيرًا يحرص فيه المفسِّر الماتُريديّ رحمه الله تعالى على إنتاج مقولات تفسيرية في

ضوء نظر أهل السنَّة. و هكذا يأتي نظره في تلكم الحروف منسجمًا مع ما يريد إنتاجه من مقولات تفسيريَّة.

يتابع البحث المقولات التفسيريَّة للماتُريديّ المفسِّر في الحروف المقطَّعة في ضوء نظره التفسيري المركَّز؛ وصولًا إلى بيان قيمة هذه المقولات، و الدلالة على أهميتها من جهة، و الكلام على طبيعتها الفكريَّة و اللسانيَّة من جهة ثانية؛ بغية رصد أثرها في إنتاج أدوات تأويليَّة معتدلة تشقُّ طريقها في منظومة التأويل الإسلاميّ بما تمتلكه من ملامح عقليَّة و تنمويَّة تدخل في وعي التجربة اللسانيَّة التأويليَّة الهادفة التي لا تقتصر على النظر في اللسانيَّة الرمزيَّة بل تتخطَّها إلى صياغة قواعد تأويليَّة تستلهم في ضوء إجراء التأويل من دون أن يذكرها على نحو مباشر؛ و من ثمَّ فإنَّ هذه النظرات التأويليَّة أو القواعد التأويليَّة غير المباشرة ينبغي أن تلاحظ في وصف النظر الإسلاميّ التأويليّ بما لهذه القواعد التأويليَّة من تطلُّعات تشتغل على مظاهر بناء الذات بلحاظها التربويّ و الذهنيّ. و كانت هذه المتابعة ذات الخصائص السياقيَّة التحليليَّة قد تمثَّلت في فقرتين هما: "الدلالات الكلِّيَّة للحروف المقطَّعة عند الماتُريديّ"، و "الدلالات السياقيَّة للحروف المقطَّعة عند الماتُريديّ". و في الفقرة الأولى ست نقاط تفصيليَّة تستوعب المقولات الكلِّيَّة للماتُريديّ في حروف الخطاب القرآنيّ المقطَّعة. أمَّا الفقرة الثانية ففيها تسع وقفات دلاليَّة مخصوصة بهذه الحروف، مثَّلت مواقف الماتُريديّ على نحو دقيق. و ذكرت المفسِّر و كتابه على نحو موجز و مركَّز في موضع يسبق الكلام على الفقرتين التحليليَّتين.

الأوَّل – أبو منصور الماتُريديّ و كتابه تفسير القرآن العظيم:

من أكابر العلماء على مذهب الأحناف أبو منصور محمَّد بن محمَّد بن محمود الماتُريديّ السمرقنديّ المولود قُرابة 238 للهجرة بماتُريد، و هي بلدة بسمرقند (أبو منصور الماتُريديّ، 2004، ج1، ص7–8). و يعود إليه تأسيس فرقة الماتُريديَّة إحدى فرق الوسطيَّة الحنفيَّة ببلدته ماتُريد إحدى بلدات مدينة سمرقند، و كان ذلك أوائل القرن الرابع الهجريّ. و كانت هذه الفرقة التي ذاع فكرها و انتشر في العالم الإسلاميّ تعتمد العقل في مواجهة الفرق الأخر (محمود حمَّاديّ، و صدَّام محمَّد، 2007، ص2–4)، و تنظر نظرًا عقليًّا في معرفة الله تعالى، و تحسين الأفعال و تقبيحها، و توجيه قضايا الفكر الإسلاميّ. و يأتي

نظرها العقليّ في هذه السياقات معتمدًا التأويل (أحمد الحربيّ، 1992، ص79-84، 133-135)، و حيثيَّاته اللغويَّة.

و الملاحظ أنَّ أخبار الماتُريديّ و الماتُريديَّة كانت قليلة بسبب من بعد موطنه عن مركز الخلافة ببغداد (أبو منصور الماتُريديّ، ج1، ص7-8)، و عدم ارتحاله هو أو رجالات الماتُريديَّة إلى مراكز العلم آنذاك كمكَّة و بغداد و دمشق ، و عدم وجود تيار سياسي يحتضن الماتُريديَّة في بداية نشأتها، فضلًا عن تأخُّر التأليف في طبقات الحنفيَّة (أحمد الحربيّ، ص79-84). و من الضرورة بمكان الإشارة إلى أنَّ إغفال المترجمين ترجمة الماتُريديّ و قلَّة أخباره في كتبهم لا يدلُّ على أنَّه قليل الأثر عندهم (أبو منصور الماتُريديّ، ج1، ص7-8)؛ ذلك بأنَّ هذا الإغفال كان لأسباب مكانيَّة في أغلبها.

و ممَّا يدخل في أنَّ للماتُريديّ السمرقنديّ الحنفيّ مكانته بين العلماء أنَّ له ألقابًا لم يُلقَّب بها غيره؛ فهو إمام الهدى، و إمام المتكلِّمين، و مصحِّح عقائد المسلمين، و رئيس أهل السنَّة و الجماعة، و موطِّد عقائدهم، و ناصرهم، و قامع البدعة. و بالنتيجة هو عالم، مفكِّر، ذكيّ، نابغ، حاذق (أحمد الحربيّ، ص93).

و قد عاش أبو منصور الماتُريديّ حياة فكريَّة حافلة ((كوَّنت له حصيلة واسعة ضمَّت الثقافة العربيَّة و اليونانيَّة و الفارسيَّة)) (أبو منصور الماتُريديّ، ج1، ص105)؛ ذلك بأنَّه نشأ في مدينة تشتهر بمناظراتها و مكتباتها. و كانت تلك المدينة تشهد جدلًا فكريًّا بين الفرق، قد يرقى إلى أن يكون صراعًا فكريًّا شديدًا بين تياراتها المختلفة (أحمد الحربيّ، ص90-91).

و للماتُريديّ كتب في التفسير، و العقيدة، و الفقه. و يعنى تفسيره بالردود و الحجج و الحوارات، فلا يدانيه تصنيف سابق في هذا المضمار (أبو منصور الماتُريديّ، ج1، ص5-12). و هو تفسير مشهور، أبان عن المشكل، و أتقن الأحكام و الحلال و الحرام (أحمد الحربيّ، ص79-98). و لا جرم فإنَّ ((هذا الكتاب من أهمِّ ما صنَّف أبو منصور الماتُريديّ؛ لأنَّه يمثِّل قمَّة ما وصل إليه علمه الذي نذر فكره و حياته له)) (أبو منصور الماتُريديّ، ج1، ص5-12). و كانت وفاته سنة 333 للهجرة بسمرقند، فدُفن فيها (أحمد الحربيّ، ص96).

الثاني – الدلالات الكلِّيَّة للحروف المقطَّعة عند الماتُريديّ:

في الخطاب القرآنيّ طائفة من الحروف الهجائيَّة استعملت في مفتتح مجموعة من السور القرآنيَّة المباركة. و هذه الحروف لها ألقاب تتمحور حول مفاهيم رئيسة هي: الحروف المقطَّعة، و الحروف الهجائيَّة، و الحروف النورانيَّة، و حروف المعجم، و الفواتح الهجائيَّة، و فواتح السور (الفيتوريّ فرج، 2008، ص12). و هي حروف مفردة لفظًا و معنى، و إفرادها يكون على نحو كتابيّ و أدائيّ (خالد الزهرانيّ، 2014، ص18).

و من الملاحظ المهمَّة في سياق الكلام على الحروف المقطَّعة أنَّها جاءت لتفتتح بها سور مخصوصة من دون غيرها، و هذه الحال تؤكِّد توظيفها القصديّ، و أنَّ لها دلالة ما، و تمنع افتراض الصدفة في توظيفها (مالك بن نبيّ، 2012، ص276). و هكذا كان استعمال تلكم الحروف في الخطاب القرآنيّ على هيئات متنوّعة، فمنها ما كان على حرف واحد : " ص "، و " ق "، و " ن ". و منها ما كان على حرفين: " طَه "، و " طَس "، و " يَس "، و " حَم ". و منها ما كان على ثلاثة أحرف: " الم "، و " الر "، و " طَسم ". و منها ما كان على أربعة أحرف: " المص "، و " المر ". و منها ما كان على خمسة أحرف: "كهيعص "، و " حَم عَسق ".

يمكن أن يقال إنَّ آراء المفسرين في الحروف المقطَّعات تنتظم في اتجاهين رئيسين: اتجاه يجعل معرفة معانيها من العلم المخصوص بالله تعالى، و لا يجد من جدوى في التعاطي مع هذه المعاني؛ لأنَّها من المتشابه القرآنيّ (جلال الدين السيوطيّ، 2007، ج3، ص21)، و المكتوم الذي لا يفسَّر (حسين نصَّار، 2002، ص11)، جاء على نحو ((محاورة خاصَّة مع الرسول صلَّى الله عليه و آله و سلَّم، و أمين الوحي)) (محمَّد البلاغيّ، 1997، ص64). بمعنى أنَّها رمز بين الله تعالى و حبيبه المصطفى صلَّى الله عليه و آله و سلَّم ليس بالضرورة أن تُبيَّن للناس (جواد كسَّار، 2010، ص120). و اتجاه يرى أنَّه من اللازم الكلام على معانيها؛ و في ضوء هذا الاتجاه تعدَّدت آراء العلماء، و أقوالهم فيها (محمَّد باقر الحكيم، 2005، ص504-505).

و المفسِّر الماتُريديّ يذكر أنَّ ((هذه الحروف المقطَّعة لم يظهر في الأخبار تفسيرها عن رسول الله صلَّى الله عليه و آله و سلَّم بطريق التواتر و الاشتهار، و لم يثبت عن الصحابة، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، أنَّهم سألوا رسول الله صلَّى الله عليه و آله و سلَّم عن ذلك، فسبيله الوقف فيها، لأنَّه معلوم ألَّا

يقف أحد على المراد بالحروف المقطَّعة إلَّا من جهة السمع. فلمَّا لم يظهر من أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه و آله و سلَّم دلَّ أنَّهم تركوا ذلك)) (أبو منصور الماتُريديّ، ج4، ص553). و على الرغم من ذلك فالماتُريديّ من العلماء القائلين بدلالتها و إمكان تأويلها؛ فهي حروف ترمز عنده إلى جملة من الأمور، يمكن أن تنتظم في:

1- إشارتها إلى الأسماء و الصفات و ما يرتبط بها:

و في ذلك تأتي إشارتها إلى بعض أسماء الله تعالى، و صفاته، و أفعاله. أو أنَّها أسماء للقرآن الكريم، و سوره؛ إذ تحقِّق لفت الانتباه إلى ما بعدها من آيات، أو إلى القرآن العظيم كلِّه؛ وصولًا إلى إلزامهم الحجَّة (أبو منصور الماتُريديّ، ج2، ص205).

و الماتُريديّ هنا ينقل نحوًا من الآراء المتقدِّمة فيها. و ممَّا يضاف هنا رأيه أنَّه بهذه الحروف كأنَّه يبني بها السور القرآنيَّة المباركة على نحو من الوصل (أبو منصور الماتُريديّ، ج1، ص13) و التمهيد. و هنا يأتي لحاظ ما يشير إليه هذا الفهم من ضرورة اعتماد آليَّة تأويليَّة لا تكتفي بالتجزئة اللسانيَّة بل تعتمد بالضرورة تقنيَّات تضع المقولة التأويليَّة في متن عمليَّة وحدويَّة كبرى لها أدواتها التحليليَّة على مستوى الفعل اللسانيّ و أهدافها على مستوى الوعي الإنسانيّ ذي المطالب النوعيَّة التي لا تقف عند حدود المظاهر المادِّيَّة بل تعدوها إلى المعنويَّات الفاعلة.

2- دلالتها على القَسَم:

في هذا السياق يأتي قوله ((الأصل في الحروف المقطَّعة أنَّه يجوز أن تكون على القسم بها ...، و أُريد بالقدر الذي ذكر كُلِّيَّة الحروف بما كان من شأن العرب القسم بالذي جلَّ قدره، و عظُم قدره. و هي ممَّا بها قوام الدارين، و بها يُتَّصل إلى المنافع أجمع مع ما دلَّت نعمتين عظيمتين، اللسان و السمع، و هما مجرى كلِّ أنواع الحكمة ؛ فأقسم بها على معنى إضمار بها أو على ما أجلَّ قدرها في أعين الخلق، فيُقسم بها)) (أبو منصور الماتُريديّ، ج1، ص13). و هو هنا يقدِّم توضيحًا دلاليًّا فكريًّا، يكون التداخل من أبرز ملامحه؛ ذلك بأنَّه يشير إلى نعم الله تعالى من جهة، و إلى حكمته تعالى في اختيار أقسامه. و إشارته

إلى الحكمة في هذا السياق تعطي دلالة على أنَّه يرى في الحروف المقطَّعة أفقًا دلاليًّا قد لا يسعه القول أو التحديد. بمعنى أنَّ هذه الحروف قد تكون لها من الدلالات ما لا ندركه.

3- الدلالة على حساب الجُمَّل:

توظَّف الحروف القرآنيَّة المقطَّعة عند الماتُريديّ توظيفًا مهمًّا يعمِّق رمزيَّتها من جهة، و يكرِّس حالة الإيجاز اللسانيّ من جهة أخرى. يقول: ((يُحتمل أن يكون بمعنى الرمز و التضمين في كلِّ حرف منها أمرًا جليلًا يعظُم خطره على ما عند الناس من أمر حساب الجُمَّل. ثمَّ يُخرَّج على الرمز بها عن أسماء الله و صفاته و نعمه على خلقه أو على بيان منتهى هذه الأمَّة أو عدد أئمتها و ملوكها و البقاع التي ينتهي أمرها. و ذلك هو في نهاية الإيجاز، بل بالاكتفاء بالرمز عن الكلام بما هو بمعنى الإشارة في الاكتفاء بها عن البسط، و لا قوَّة إلَّا بالله، ليعلم الخلائق قدرة الله و أنَّ له أن يُضمَّن ما شاء فيما شاء على ما عليه أمر الخلائق من لطيف الأشياء التي كادت العقول و أسباب الإدراك تُقصِّر عنها و كنهها التي يدركها كلُّ واحد، و بيَّن الأمرين. فعلى ذلك أمر تركيب الكلام)) (أبو منصور الماتُريديّ، ج1، ص13). يستفاد من هذا أنَّه يتَّخذ منها منطلقًا تربويًّا وعظيًّا. و أكبر من هذا أنَّه ينطلق منها إلى النظر في الخلق، و بيان مقدرة الخالق العظيم في إبداعه. مع لحاظ تنمية الدلالة الاحتماليَّة في هذا السياق. و الظاهر أنَّه لا يكتفي بذكر رأي بعينه في موضع من المواضع بل يعمد إلى دمج الآراء و إنتاجها متداخلة مترابطة. و هذا من ملامح النظر الدلاليّ المنهجيّ لديه في التعاطي مع الدلالات في نسبتها إلى الحروف على نحو كلِّيّ متداخل. و ممَّا يُحسب له في هذا الموضع أنَّه يعمل على تكريس دلالة بعض الآراء و تنميتها بما يعزِّزها، أو يمدُّها بالعمق و الثراء؛ لإنتاج مقولة دلاليَّة رمزيَّة احتماليَّة.

و تجدر الإشارة إلى أنَّ الرأي بدلالة هذه الفواتح الأزليَّة على حساب الجمَّل قد ينظر إليه على أنَّه رأي ظاهر الفساد (محمَّد أبو فراخ، 1983، ص51-63)، و الضعف. و قد نهي عن هذا الرأيّ؛ ذلك بأنَّه أقرب إلى السحر [1] و الخرافة (محمَّد حسين الصغير، 2000، ص163). و هو أدخل في الغموض [2] و اللبس (صبحي الصالح، 1977، ص237، عائشة عبد الرحمن، 1989، ص 147)، و البعد عن الواقعية . على أنَّ الماتُريدي أخذ من الجمَّل منهجه في تضمين الحرف عددًا من الرموز؛ فراح يرى هو في الحرف قضية قد تكون محتملة.

---

[1] **ينظر . الإعجاز البياني للقرآن و مسائل ابن الأزرق – دراسة قرآنية لغوية و بيانية ، ص 147 – 148 .**

[2] **ينظر . مباحث في علوم القرآن ، ص 237 .**

4- تحقيق الفصل بين المنظوم و المنثور من الكلام:

ممَّا يقدِّمه الماتُريديّ في سياق إيجاد مقولة يفهم في ضوئها مغزى استعمال الحروف القرآنيَّة المقطَّعة ذهابه إلى أنَّها جيء بها للفصل بين المنظوم و المنثور من الكلام، مع إشارة منه إلى أنَّ ذلك يكون على وجه ينقطع له المثال من كلامهم (أبو منصور الماتُريديّ، ج1 ، ص13-14). و هذا يعني أنَّ هذه الحروف بلحاظ تقطيعها تكون فارقًا شكليًّا بين فنون القول. و الماتُريديّ يضيف بطبيعة الحال إلى هذه المقولة ما يؤهِّلها - و كثيرًا ما يفعل ذلك - إلى رأي جديد.

5- ارتباط الحروف القرآنيَّة المقطَّعة بما بعدها:

ممَّا يميل المفسِّر الماتُريديّ إليه هنا ((أنَّ تفسير هذه الحروف المقطَّة ما ألحق بها على أثرها)) (أبو منصور الماتُريديّ، ج1، ص13) من الآيات المباركة. بمعنى أنَّه يرى أنَّ الآية المباركة التي تأتي إثر هذا الحرف أو ذاك من الحروف المقطَّعة تمثِّل تفسيرًا له، و بيانًا لمضمونه. و بيان ذلك أنَّ الحرف المقطَّع يرتبط بلحاظ معناه بالآية التي تليه، فإنَّه يذكر أنَّ قوله تعالى: {ذَلِكَ الكِتَابُ} (البقرة: 2) يمثِّل تفسيرًا للحروف المقطَّعة: {الم} (البقرة: 2) في صدر السورة المباركة. أمَّا قوله تعالى: {المص} (الأعراف: 1) في مفتتح سورة الأعراف المباركة فتفسيره قوله تعالى: {كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ} (الأعراف: 2). و مثل ذلك في غير موضع من مواضع استعمالها (أبو منصور الماتُريديّ، ج1، ص13).

و قريب من ذلك ذهابه إلى الترابط التركيبي بين الحروف المقطَّعة و الآيات التي تلتها؛ إذ يقول في كلامه على مفتتح سورة غافر المباركة: ((و الصحيح من الأقوال أنَّ {حم} (غافر: 1) خبر لمبتدأ محذوف، و {تَنْزِيلُ الكِتَابِ} (غافر: 2) خبر ثان)) (أبو منصور الماتُريديّ، ج4، ص391).

و ما يعزِّز هذا الميل أنَّه أعاد هذا الرأي، و أكثر من تكراره في مواضع متعدِّدة من كتابه. و أحسب أنَّه عندما يسكت في مواضع من تفسيره عن ذكر رأي في الحروف المقطَّعات، و يكتفي بما ذكره في غير موضع قد تقدَّم إنَّما هو يشير إلى رأيه هذا. فيكون قد عزَّزه أيضًا بسكوته، و إحالته هذه.

6- الحروف القرآنيَّة المقطَّة مظهر للمتشابه القرآنيّ:

ينقل أبو منصور الماتُريديّ قبال ما يراه هو في الحروف القرآنيَّة المقطَّعة رأي من يرى أنَّها من المتشابه الذي لم يُطلِع الله تعالى خلقه على علمه، فهي في مقام سرِّ القرآن. غير أنَّ أبا منصور يضع هذا الرأي في سياقه التفسيري؛ فيوضِّحه بأنَّ الله تعالى يشير إلى أنَّ له أن يمتحن عباده بما شاء من أنواع المحن. و من هنا فإنَّ الذي يُذكر في دلالة هذه الحروف يأتي على نحو من الإمكان و الاحتمال (أبو منصور الماتُريديّ، ج1، ص 13، ج4، ص391). و في هذا السياق تأتي إشارتها إلى الوجود (أبو بكر بن عربيّ، 2001، ج1، ص31) و عوالمه المتنوّعة، الظاهر منها و الباطن.

و قريب من هذا ما يُذكر من أنَّ للحروف المقطَّعة التي استعملها الخطاب القرآنيّ على نحو مخصوص ظاهرًا يتمثَّل في صورها و أشكالها، و باطنًا يتمثَّل في أرواحها (جراد كسَّار، ص133-136)، و مكنوناتها؛ ذلك بأنّها تثير حبَّ الاستطلاع و توقُّع الأسرار و المخبوء. و تثير من جهة أخرى الرهبة و الفزع (حسين نصَّار، ص8).

و غير بعيد عن هذا أنَّها تمثِّل حالة من حالات الدعوة إلى التأمُّل و التفكُّر (أبو منصور الماتُريديّ، ج4، ص363) ، و إلفات الأنظار؛ وصولًا إلى مضمونها و هدفها. و يكون هذا من طريق توظيف وجودها الخارجي، و قرائن الحال (محمَّد باقر الحكيم، ص515).

معنى هذا أنَّه نظر في آراء الفريقين ممَّن يرى للحروف المقطَّعات دلالات، و ممَّن لا يرى لها من دلالات. و أبان عن موقفه من ذلك في أثناء كلامه على هذه الحروف. و يظهر أنَّه مع من يرى أنَّ لها دلالات، غير أنَّه يراها لسانيَّة مرَّة، و يراها رمزيَّة مرَّة أخرى؛ فكانت مقولاته تتمتَّع بنظر تأويليّ بعيد عن التكلُّف، يمهِّد الطريق أمام توخِّي آثاره في إنتاج تأويليَّة معتدلة على المستوى الاستشرافي.

الثالث – الدلالات السياقيَّة للحروف المقطَّعة عند الماتُريديّ:

لما تنوَّعت الحروف القرآنيَّة المقطَّعة بلحاظها الكمِّي مرَّة، و بلحاظ توظيفها السوريّ مرَّة أخرى كما مرَّ في الفقرة السابقة؛ فقد يكون هذا الاستعمال المتنوُّع دالًّا على أنَّ الخطاب القرآنيّ يريد أن يسلك بها مسلك العرب في أساليب كلامهم (جار الله الزمخشريّ، 1989 ج1، ص105) المتنوِّعة كمًّا، و نوعًا.

و هذا هو ما يقود إلى ضرورة استمزاج إيحائها؛ ذلك بأنَّ هذه الفواتح لا يمكن أن تتراءى لنا اليوم على هيئة هياكل متحجّرة جامدة. و لا سيما أنَّ لها حضورًا صوتيًّا مستقلًّا (مالك بن نبي، ص273)، يمنحها طاقات من التواصل و التأثير. و لعلَّ المفسِّر الماتُريديّ قد استشعر فيها وحيًا دلاليًّا ما، يُرصد في مقولاته التي خصَّ بها بعضًا من هذه الحروف:

1- (المر، في سورة الرعد):

استعملها الخطاب القرآنيّ ((كناية عن الحجج و البراهين و سائر الكتب جعلناها آيات القرآن و حُججه)) (أبو منصور الماتُريديّ، ج2، ص612). و في الرأيّ إعمال للنظر العقليّ يعلي من منزلته الماتُريديّ؛ ذلك بأنَّه يجعل هذه الحروف على دقَّة صوغها منابر تحكي البراهين. و من هنا تأتي الضرورة الكبرى التي ينشدها في إنتاج نظر عقليّ يقرأ المرادات القرآنيَّة قراءة تشتغل على هذا النحو.

2- (الر، في سورة إبراهيم):

يذكر شيئًا من إشارتها إلى أنَّها حروف اعتياديَّة، غير أنَّ الله تعالى ((جعلها بالحكمة كتابًا)) (أبو منصور الماتُريديّ، ج3، ص5). و هو في هذا الموضع ينبِّه على حقيقة الإعجاز و التفرُّد الذي يتمتَّع به هذا الكتاب العظيم.

3- (الر، في سورة الحِجر):

يسوق فيها كلامًا لا يختلف عن كلامه عليها في مفتتح سورة إبراهيم المباركة. غير أنَّه يرى فيها ما يكون ((كناية عن الأنباء و الأخبار عن الأمم السالفة التي لم يشهدها رسول الله صلَّى الله عليه و آله و سلَّم. تلك الأنباء و الأخبار التي جعلناها كتابًا أو آيات ليعلموا أنَّ هذا الكتاب إنَّما أُنزل من السماء، و أنَّه إنَّما عُلم بالوحي من الله)) (أبو منصور الماتُريديّ، ج3، ص39) تعالى . و من الأهمِّيَّة بمكان أن أشير إلى أنَّ إشارته إلى هذا المعنى تأتي منسجمة مع مضامين هذه السورة المباركة؛ إذ إنَّها تتضمَّن تعريفًا بالأحداث التي مرَّت بها أمم سالفة.

4- (طه، في سورة طه):

يستعرض فيها أنَّها كلمة يراد بها الدلالة على نداء الرجُل بالنبطيَّة، أو بالسريانيَّة، أو أنَّها أريد بها نداء فلان (أبو منصور الماتُريديّ، ج3، ص283). و المراد منه شخص الرسول صلَّى الله عليه و آله و سلَّم. و الماتُريديّ يستعرض ذلك من دون تعليق منه، و كأنَّه يتبنَّاه في هذا الموضع.

5- (يس، في سورة يس):

يذكر أنَّه أراد محمَّدا صلَّى الله عليه و آله و سلَّم على سبيل القسم به . و اللفظ معناه نداء إنسان بلسان الحبشة أو لسان طيء (أبو منصور الماتُريديّ، ج4، ص191). و لعلَّه يريده في هذا الموضع كما أراد دلالته في سورة طه المباركة.

6- (ص، في سورة ص):

و المعنى هنا صادِ بالقرآن، أي نادِ به، و عارضْ، و قابلْ، و حاربْ (أبو منصور الماتُريديّ، ج4، ص253) من تحدَّاك و خالفك. و في هذا السياق يظهر أثر العناصر اللفظيَّة التي تلي الحرف المقطَّع في الآية المباركة. يقول تعالى: {وَ القُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ} (ص: 1). بمعنى أنَّني ألمح ما يريده الماتُريديّ من ذكره لهذه الدلالات؛ فهي عنده مرتبطة بالنسيج اللسانيّ لهذه الآية. و من هنا ينفتح على رأيه المتمثِّل في ارتباط الحروف المقطَّعة بما يليها من آيات.

7- (حم: في سورة غافر):

يذكر ما قيل فيهما إنَّ معناها ((حَمَّ، أي الذي قضى كائن)) (أبو منصور الماتُريديّ، ج4، ص329). و الرأيّ فيه مزعة عقديَّة واضحة. أمَّا سكوت المفسِّر الماتُريديّ عن التعليق عليه فهو لانسجامه مع مضامين السورة المباركة؛ ما يعني أنَّه يرتبط برأيه الذي يتبنَّاه من ارتباط دلالات الحروف المقطَّعة بما يليها.

8- (ق، في سورة ق):

ينقل فيه إنَّه اسم لجبل يحيط بالأرض تقع عليه أطراف السماء، و هو الذي يرفعها و يمنع سقوطها. و يضعِّف هذا المعنى؛ ذلك بأنَّ العرب لم تعرف هذا الجبل (أبو منصور الماتُريديّ، ج4،

ص553). و تضعيفه لهذا المعنى في هذا المورد يأتي تأكيدًا لرأيه الذي يريد، و يدعو إلى تبنّيه في تفسير هذه الحروف.

و أقلُّ ما يقال في هذا الرأيّ إنَّه من الإسرائيليَّات التفسيريَّة التي كانت تهدف إلى شلِّ حركة التفسير، و إبعاده عن الانفتاح على أفق الإسلام الرحب، فضلًا عن أنَّ مثل هذه المقولات التفسيريَّة تتعارض مع المسلَّمات العلميَّة التي تشير إلى انتظام حركة الأرض و عدم انحراف مسارها باتجاه الشمس أو نحو المجهول في الفضاء. ناهيك عن أنَّ مثل هذه الروايات لا يمكن أن تصمد أمام النظر العقليّ المتدبِّر، و هي من جهة أخرى تجعل الجيل الحاضر يتحمَّل مضاعفاتها و عواقبها (أحمد الوائليّ، 2008، ص389-392) الوخيمة التي تتمثَّل في تعطيل العقل أمام هذه الرواية الساذجة و أمثالها.

و الغريب أنَّ الروايات لم تقتصر على ذكر الجبل بل راحت إلى أنَّه مخلوق من زمرُّدة خضراء، يقال إنَّ السماء اخضرَّت بسبب من لونه (جلال الدين السيوطيّ، ج3، ص23-24).

و الآراء كثيرة في معنى "ق" الحرف المقطَّع في سياق السورة المباركة التي تسمَّت به. و قد بلغت أحد عشر رأيًا. و الملاحظ أنَّه لا دليل على صحَّتها (أبو حيَّان الأندلسيّ، 1989، ج8، ص130). و قد قيل فيه إنَّه اسم من أسمائه سبحانه و تعالى. أو هو افتتاح لمجموعة من أسماء الله تعالى، من مثل القاهر، و القادر، و القدير، و القابض، و القريب، و القاضي. و هو اسم من أسماء القرآن العظيم. و اسم للسورة التي يفتتحها. و قد قيل أيضًا إنَّه بمعنى قف عند أمر الله تعالى و نهيه، و لا تعدوهما. و هو يدلُّ على قرب الله سبحانه و تعالى من عباده. في إشارة إلى قوله تعالى: {وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ} (ق: 16). و قد يكون هذا الحرف دالًّا على انقضاء الأمر. و لعلَّ هذا يكون على نحو من الاختصار و الاجتزاء لمفهوم (قُضِيَ الأَمْرُ). و فيه دلالة على أنَّ الله سبحانه و تعالى أقسم بقوَّة قلب رسوله و حبيبه مُحَمَّد صلَّى الله عليه و آله و سلَّم؛ ذلك بأنَّه حمل الخطاب و الرسالة و لم يؤثِّر ذلك فيه لعلوِّ حاله و كبير استعداده. و يمكن أن يكون ضربًا من القَسَم القرآنيّ (أبو عبد الله القرطبيّ، 1965، ج17، ص2-3). و تجدر الإشارة إلى أنَّ الخطاب القرآنيّ ((إذا أقسم بالحرف فإنَّ الذهن حينئذ يتوقَّف عن الانصراف إلى معنى محدَّد، لأنَّ هذا الحرف ليس له معنى قائمًا في نفسه. و بهذا نعرف أنَّ القَسَم إنَّما وقع بهذه الحروف، لأنَّ الله جلَّ و علا يريد أن يمجِّد أصل القرآن الكريم، لأنَّ هذه الحروف المادية هي أصل القرآن، فأراد الله سبحانه و تعالى أن يكرِّم القرآن بتكريمها، و يمجِّده بتمجيدها، يجعلها موضع تكريمه و تعظيمه حيث إنَّه

تعالى أقسم بها، و هو جلَّ و علا لا يقسم إلَّا بعظيم و إن رأيناه نحن غير ذلك)) (أحمد الوائليّ، ص386).

و لعلَّ هذا الحرف اسم فاعل مأخوذ من الاقتفاء؛ فيكون معناه ((أنَّ هذا القرآن قاف لجميع الأشياء بالكشف)) (أحمد الوائليّ، 394). و تجدر قراءة هذا الرأي وصولًا إلى مقاربته نحو الفكرة التربويَّة الكماليَّة للإنسان؛ إذ ((إنَّ هذه الكلمة تعني الكثير الكثير من موارد حفظ كرامة الإنسان، لأنَّها كما قلنا اسم فاعل بمعنى كاشف، و القرآن يكشف لنا كلَّ الوسائل التي تخدم في عملية بناء المجتمع، و تثبِّت دعائمه، و لا يترك وسيلة دون أن يوظفها في سبيل تحقيق هذا الهدف، فكلُّ ما يخدم تحقيق هذا الهدف يضعه بين أيدي الناس، كي يستفيدوا منه في تحقيق هذه العمليَّة الاجتماعيَّة التي دعت إليها الأديان السماويَّة منذ أن خلق الله آدم عليه السلام إلى يومنا هذا)) (أحمد الوائليّ، ص402)؛ فتظلُّ هذه الإشارة الدلاليَّة فاعلًا تنمويًّا يحثُّ على ضرورة التعلُّم، و تعقُّل الأشياء، و تبنِّي نظر فكري واقعي يقود إلى إنتاج تواصل فاعل بين النهضة الحلم، و متطلباتها الواقعيَّة و العمليَّة انطلاقًا من مشروع الظاهرة القرآنيَّة القائم على أساس من تغليب النظر العمليّ الواقعيّ، و الإحاطة الكونيَّة الهائلة التي تضع الإنسان أمام جوهر وجوده العقليّ لينطلق في إنتاج بناء ذاته و نموه المعرفيّ و الحضاريّ، في ضوء الدعوة إلى أكملة الذات و الارتقاء بها، و جعلها أمام إرادة إنتاج المجتمع المثال القائم على أساس من تأكيد كرامة الإنسان و جعله القيمة العليا و تكريمه أعظم تكريم بعيدًا عن تهوين مقدرته، أو إهانته و إذلاله. و لا يخفى أنَّ الماتُريديّ برفضه الدلالة على الجبل في هذا السياق يفتح الباب أمام مثل هذه المقولات الدلاليَّة التنمويَّة التي تلامس بناء الذات الإنسانيَّة و موقعها من رحمة خالقها العظيم.

9- (ن، في سورة القلم):

و فيه يذكر اختلافهم في معناه؛ فهو الحوت، أو الدواة. أمَّا الحوت فمناسبة لقوله تعالى: {وَ ذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا} (الأنبياء: 87)، و قوله تعالى: {فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَ هُوَ مُلِيمٌ} (الصَّافَّات: 142). و كانت نسبته إلى الحوت من هنا. و أمَّا الدواة فمناسبة لذكر القلم و ما يسطَّر به في قوله تعالى: {ن وَ الْقَلَمِ وَ مَا يَسْطِرُونَ} (القلم: 1). و يؤكِّد الماتُريديّ أنَّ هذين المعنيين على الموافقة من دون أن ينصرف الذهن إلى الدلالة الحرفيَّة عليهما. و من جهة أخرى يبقي لهذا الاستعمال حرفيته المجرَّدة، و لا سيما أنَّه مشفوع باستعمال القلم أداة الكتابة. و كان الاستعمال القرآنيّ قد قرنهما للدلالة على عظيم صنعه تعالى و لطفه بإيجاد الحروف و كتابتها بالقلم؛ تحقيقًا للحكمة و المصلحة للخلق في دينهم و دنياهم

(أبو منصور الماتُريديّ، ج5، ص207). و الظاهر أنَّه في هذا الموضع قد نظر في الآراء منتهيًا إلى بغيته في تقديم ما يتَّصل بالحرف المقطَّع و ربطه بما بعده، في ضوء سلسلة دلالية مترابطة تحفظ الإشارة إلى الحكمة، و تحقيق مصلحة الإنسان، و تنمية معارفه و دفعه نحو المعنويّ، و عدم الاكتفاء بالتوجُّهات المادِّية في النظر إلى الأشياء و الأفكار و صوغ المواقف بإزائها.

المصادر و المراجع:

ابن عربي ، أبو بكر محيي الدين ، 2001 : تفسير ابن عربي ، ط 1 ، بيروت ، دار الكتب العلميَّة .
ابن نبي ، مالك ، 2012 : الظاهرة القرآنيَّة ، ترجمة : عبد الصبور شاهين ، دمشق ، ثقافة الاختلاف ، دار الفكر .

الأندلسيّ ، أبو حيَّان ، 1989 : البحر المحيط ، المملكة العربيَّة السعوديَّة ، مطابع النصر الحديثة .
أبو فراخ ، محمَّد أحمد ، 1983 : الحروف المقطَّعة في أوائل السور القرآنيَّة – دراسة نقديَّة للتأويلات العدديَّة و التفسيرات الإشاريَّة ، جدَّة ، دار المنهل .
البلاغيّ ، محمَّد جواد ، 1997 : آلاء الرحمن في تفسير القرآن ، بيروت ، دار إحياء التراث العربيّ .
الحربيّ ، أحمد بن عوض الله ، 1992 : الماتُريديَّة دراسة و تقويمًا ، الرياض ، دار العاصمة للنشر و التوزيع .
الحكيم ، محمَّد باقر ، 2005 : علوم القرآن ، العراق ، مؤسَّسة شهيد المحراب للتبليغ الإسلاميّ .
حمَّادي ، محمود فيَّاض ، محمَّد ، صدَّام جاسم ، 2007 : أبو منصور الماتُريديّ و دوره في نشأة الماتُريديَّة ، العراق ، مجلَّة جامعة ديالى ، (26) ، ص .
الزهرانيّ ، خالد بن موسى ، 2014 : الحروف المقطَّعة في القرآن الكريم ، المملكة العربيَّة السعوديَّة ، مجلَّة طيبة للآداب و العلوم ، (4) ، ص .
الزمخشريّ ، جار الله ، 1989 : الكشَّاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل ، لبنان ، دار المعرفة للطباعة و النشر .
السيوطيّ ، جلال الدين ، 2007 : الإتقان في علوم القرآن ، لبنان ، المكتبة العصريَّة .
الصالح ، صبحي ، 1977 : مباحث في علوم القرآن ، بيروت ، دار العلم للملايين .

الصغير ، محمَّد حسين علي ، 2000 : المبادئ العامَّة لتفسير القرآن الكريم بين النظريَّة و التطبيق ، بيروت ، دار المؤرّخ العربيّ .

عبد الرحمن ، عائشة ، 1989 : الإعجاز البيانيّ و مسائل ابن الأزرق ، مصر ، دار المعارف .

الفيتوريّ ، فرج ابديوي ، 2008 : الحروف المقطَّعة في القرآن الكريم – دراسة استقرائيَّة تحليليَّة ، أطروحة دكتوراه ، ماليزيا ، كلية معارف الوحي و العلوم الإنسانيَّة ، الجامعة الإسلامية العالميَّة .

القرطبيّ ، أبو عبد الله محمَّد ، 1965 : الجامع لأحكام القرآن ، القاهرة ، مطبعة دار الكتب .

كسَّار ، جواد علي ، 2010 : فهم القرآن – دراسة على ضوء المدرسة العرفانيَّة ، بيروت ، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلاميّ .

الماتُريديّ ، أبو منصور محمَّد بن محمَّد ، 2004 : تفسير القرآن العظيم ، بيروت ، مؤسَّسة الرسالة ناشرون .

نصَّار ، حسين ، 2002 : فواتح سور القرآن ، القاهرة ، مكتبة الخانجيّ .

الوائليّ ، أحمد ، 2008 : روائع محاضرات الوائليّ ، بيروت ، مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات .